عملية جراحية للقلب من نوع مختلف
نينا لي أكينو

حينما يسألني البعض، لماذا أفعل ما أفعل؟ فجوابي هو: لكي اجعل من العالم مكانا أفضل، هذا لأنني اؤمن ايمانا راسخا أن المسرح يستطيع ان يغير العالم، قد يبدو هذا الايمان للبعض إيمانا نمطيا وسهلا ولكنه سباق المسافات الطويلة الذي اركض فيه، بل وأطلب من كل زملائي الفنانين أن يركضوا معي.

الامر بسيط بالنسبة لي، لقد عاش المسرح وانتعش رغم كل التهديدات لوجوده ولضرورة وجوده، فالراديو والسينما والتلفزيون والمسابقات الرياضية وتقنيات البث المباشر كلها جعلت المسرح وحده من يحتاج حكماً - بطبيعة وجوده - الى جمهور حي. المسرح يحتاجنا على شكل جماعات، نشاهد معا ما يحدث في فضاء الخشبة، ولو تفكرت قليلا لوجدت ان المسرح معجزة. نقدم عرضا فيأتي الناس، قد يكونون مجموعة من الاصدقاء قد خرجوا لمغامرة ليلية، أو عائلة تود رؤية أحد أحبائها على الخشبة أو أن السبب هو أداء واجب اجتماعي تجاه الفريق المسرحي، لا يهم، ولكن ما أن تنطفئ أضواء الصالة حتى يتوحد الجميع في حالة شغف لرؤية الحكاية المقبلة.

على مسارحنا التقليدية منها أو غير التقليدية يصبحُ الجمهورُ ليس شاهداً فحسب، بل مشاركاً فاعلاً بما يلي:

قصصٌ ترينا الجراح
قصصٌ ترينا الدواء
قصص تسمح لنا بنسيان العالم الخارجيّ
قصصٌ تذكرنا ان هناك عالمٌ خارجيّ
قصصٌ تصيبنا في الاحشاء
قصصٌ تلعب بدواخلنا
قصصٌ تعلمنا أشياء
قصصٌ تُنسينا ما تعلمناه
قصصٌ تُعيدنا للماضي، تذكرنا برحلتنا الطويلة الى هنا
قصصٌ ترمينا نحو المستقبل و تدفعنا لنتخيّل

كلُّ هذه القصص مهمة جداً؛ من المسرح الجماهيري الترفيهي الى مسرح الحقائق الصارمة - من المسرح المريح الى المسرح المقلق.
حضرت بنفسي العديد من المسرحيات بجمهور غفير، بجمهور صغيرأو حتى بلا جمهور، و في كل مغامراتي المسرحية، عرفت حقيقةً واحدة مؤكدة: أدخل القاعة إنسانا و أخرج إنسانا آخر. وفي كل مرةٍ لعينة من تلك المرات، يقوم المسرح بنفس الفعل، يفتح أبواب دواخلنا او يعيد تأكيد قناعاتٍ عن أنفسنا، عن الآخرين او عن العالم، قناعات لربما نسيناها، إن أدركنا هذا او لم ندرك، فإننا نخرج دوماً من القاعة متغيّرين، متحوّلين، و قد تمت إعادة ترتيبنا. إنها حقيقةٌ مذهلةٌ اذا ما فكرنا فيها بعمق. نحن نحمل قوةً جبارةً لتغيير العالم.

لربما هذا يوضحُ لماذا علينا ان نطالبَ بمسرح اكثر تنوعاً و تعددية و لماذا بَعضُنَا قد نذر حياتَه المهنية لهذه القضية.
هذا الموضوع يذهب ابعد كثيرا من مجرد هاشتاغ او كوتات او التحصُّل على دعمٍ حكوميّ اكبر. الموضوع يذهب ابعد من الحديث المعتاد عن "...التمثيل الثقافي للمدينة او البلد الذي نعيش فيه." إن الحكايات المتنوعة تطرح حلولا متنوعة، طرقا متخَيَّلة لروايةِ الحكايات، تحلُّ الاقفال عن إجابات مستحيلة لأسئلة صعبة، تقودنا لآلياتٍ ابداعيةٍ في حل المشاكل، لوجهاتِ نظرٍ جديدةٍ لامتناهية، لقدراتٍ متجددة تجعلنا نحلم أكبر الأحلام.

وفي النهاية، فإن الوظيفةُ الموكلةُ لنا نحن معشرَ المسرحيين هي ان نطلب من أهلنا، من مجتمعاتنا ومواطنينا أن يعيشوا تجربة مشتركة؛ تجربة فورية و حسيّة و ضرورية. نحن نذكّرُ الناس كم هو أمر كبيرٌ و مهمٌ و معقَّدٌ ان نكون إنسانيين. و رغم أننا نتلهى أحياناً بأفخاخِ بيع التذاكر و مقالات النقد و الجوائز، إلا أننا في الحقيقة نتعامل مع شيئٍ أغلى بكثير، شيء يشبه عملية قلبٍ جراحية و لكن من نوعٍ مختلف.

إننا في العمل الذي نؤديه على خشبة المسرح او خلفها؛ نحاول إيصال شئٍ ما، نعبّرُ عن شَيْءٍ مهم. إننا نستطيعُ ان نُذكِّرَ او نساعدَ على النسيان، نستطيعُ ان نشحذَ الهمم و نفعِّلَ الناس، نستطيعُ ان نؤثِّرَ و نضيئ، نستطيعُ ان نستفزَّ و نُهدئ. كان للمسرح عبر التاريخ دور كبير في حياتنا المدنية، و يمكنه ان يلعب دوراً أكبر اذا ما إذنا له مجتمعين على ذلك، إذا ما حمّلناه تلك القيمة في التأثير.

و في مواجهة تحديات العصر التي نعرفها جميعا، اؤكد على إيماني الراسخ بقوة مهنتي؛ بقوة المسرح و حيويته بالنسبة لنا نحن معشر الانسان. من الواضح جداً أن عملنا نحن فناني المسرح لم يشرفْ قطُّ على نهايته. سواء أكان الجمهور مؤلفاً من عشرة أشخاص، مئة شخص او عشرة آلاف...فنحن قادرون، ولسوف نغيّرُ العالم.